القربان الملعون

مسرحية

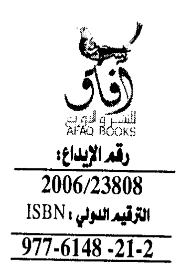
د.عصام عبد العزيز



القربان الملعون

مسرحية

♦ Author : **Essam Abd El-Aziz**	♦ المؤلف: عصام عبد العزيز
♦ Title: **The Cursed Offering**	♦ العنوان : القربان الملعون
♦ **First Edition: 2007**	♦ الطبعة : الأولى 2007
♦ Cover Design by: Amr AL-kafrawy	♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي



رقم الإيداع:

2006/23808

الترقيم الدولي: ISBN

977-6148-21-2

Afaq Bookshop & Publishing House

75 QASR - ALAINI ST., in Front of Dar Al-Hekma, - CAIRO - EGYPT
Tel.fax : +202-795-3811 E-mail:afaqbooks@yahoo.com

إهــــــداء

أستاذي العزيز

أ.د/ عبدالعزيز حمودة

رحلت عن عالمنا إلى عالم مجهول لا يعلمه إلا الله...

فسلامي إلى شهداء "نيران" المسرح...

أ.د/ محسن مصيلحي

د/ صالح سعد

وغيرهما من القرابين البشرية...

إليكم مسرحية: (القربان الملعون)...

حباً وتقديراً

وإلى الملتقى....

عصام عبد العزيز



شخصيات المسرحية:

الزوجة :

الأخ :

زوجة الأخ :

الصديق :

الراهب :

الشيخ :

الخادمة :

السائق :

المحامى :

حرس خاص :

(غرفة أنيقة أشبه بصالة الاجتماعات.. طاولة مستطيلة أو بيضاوية أو شبه دائرية.. صورة الرجل السيد معلقة على الحائط في منتصف الغرفة... الشخصيات في حالة انتظار في أنحاء الغرفة.. منصة صغيرة للخطابة.. في كل ركن يقف حارس.. صمت..)

الزوجة : لا أطيق هذا الانتظار .. فلا صبر لى عليه.. أشعر بالضيق والحر .. إنى أختنق .. أختنق..

زوجة الأخ : وأنا أيضاً أكره هذه الاحتفالية البغيضة .. قسوة لا مبرر لها.. ملعون هذا الانتظار.

الأخ : نعم .. فالانتظار يولد الملل.. ويصيب الإنسان بالتوتر والقلق.. وأعتقد أن ذلك هو المطلوب تجاه هذا الاجتماع الجمعى.. فأرجو أن يكون ذلك واضحاً منذ البداية كي نتحكم في أعصابنا.

الصديق: نحن أيضاً نمقت ذلك .. ولكن إذا كان هذا الانتظار القاسي يفرض علينا أن نتحمل قسوته فلا تنسوا لحظة واحدة.. أننا نتحمل أيضاً وزر جرائمنا لكوننا قد عبدنا ذلك الإله الملعون وقدمنا أنفسنا ... قرابين بشرية له طوعاً ورضوخاً دون أن نملك الحق في قول كلمة لا.. أو حتى نفكر في الرفض أو في التمرد .. وبذلك يصبح

هذا الانتظار عقاباً لنا.. كما أنه يعد تكفيراً مشروعاً عن جرائمنا.. فلنتحمل جميعاً قسوته .. ولنحترق معا في بوتقة الجحيم.. تطهيراً لأرواحنا الملعونة أيضاً..

الأخ : أنا لا أدرى: لما هذا الضيق وتلك الحيرة!.. لا بد أن نعى جيداً وبعد طول الانتظار.. قواعد اللعبة التي يلعبها معنا ذلك السيد الموقر.. أخي العزيز.. إنها لعبة بين الأحياء والأموات.. غير أن كل ذلك لا يمنعنا من التفكير والالتجاء إلى صوت العقل.. فإذا كان هذا الانتظار سيقابله الحصول على بضعة ملايين.. فإنى أحتمل مرارة هذا الانتظار مجبراً.. أحتمل لحظاته المريرة الآن رغم العذاب والقلق الذي يجتاحني من الداخل.. أحتمل كل ذلك في صمت مفكراً في أحلام غدى المشرق المشبع بالثراء غير المحدود.. وبعبق السعادة المفقودة والتي لم أحصل عليها يوماً.. فمتى حصلت على كل حقوقي المسلوبة والمغتصبة منى أكون بذلك قد غفرت لأخي كل ذنوبه وأوزاره .. حياً وميتا..

زوجة الأخ : ما الذي علينا أن ننتظره من ذلك الرجل الكريه وخاصة من بعد موته.. لقد كان طوال حياته يستعذب آلام الآخرين وهو يسرق أعمارهم وأرواحهم.. كان يشعر بالقوة والجبور كلما خضع له الجميع.. وكانت كل

الوسائل لديه مباحة دون وازع خلقي أو ديني.. لقد احتل الكره داخل قلوبنا وهو حي .. فهل ترون أن وصيته الأخيرة الملعونة ستكون شيئاً آخر غير طبعه السادى البغيض .. إن الثعبان لا يضع إلا ثعباناً .. ولا يفرز عسلاً بلا سُماً..

الصديق : يخيل إليّ ان شبح الموت الذي انتزعه من هذا العالم انتزاعنا مشروعاً.. لم يستطع أن يهذب من طباعه حتى وهو فى العالم الآخر.. والدليل على ذلك هذا الانتظار الذي يخيل إليّ أنه لانهائي.. بل لا أشك لحظة واحدة من أنه أراد لنا هذا الانتظار ودبره بدقة وبعناية فائقة لكي نحترق معاً.. انتقاماً منا لكوننا فقط أحياء.. وعلى هذا .. يصبح هذا الانتظار رسالة لنا .. رسالة تحمل معنى الانتقام.. شيء مثل الحوار .. مثل لغة الحوار.. لغة تؤكد ذاته .. لغة تحمل معنى اللعنة..

الزوجة : سوف تقرأ وصية زوجي .. ثم لا نلبث أن ننصرف.. وليذهب كل منا إلى شؤونه الخاصة.. لقد أخبرني المحامي بأن كل ذلك سوف يتم في هذا اليوم وهو الموعد الذي حدده له زوجي.. أنا أحاول أن أسيطر على أعصابي.. فلا داعي لهذا التوتر..

الأخ : التوتر! .. حسنا .. لقد رضعناه منذ الطفولة على يد السيد الموقر .. زوجك وأخي العزيز.. لقد أغوانا جميعاً.. فمسخنا عبيداً..

زوجة الأخ : لقد خدعنا بشخصيته المرموقة القاهرة.. كما خدعناه نحن أيضاً حين تظاهرنا جميعاً بخضوعنا وبحبنا الكامل له واحترامنا غير المحدود.. لقد كنا حقاً عبيداً له.. وله وحده وكان هو السيد المقدس.. ما عرفنا إلهاً بشرياً غيره..

الشيخ : أستغفر الله العظيم.. عفواً.. المتوفى لا تجوز عليه إلا الرحمة.. مهما بلغت ذنوبه.. اذكروا محاسن موتاكم.. وليرحمهم الله.. وليغفر الله لنا جميعاً..

الصديق : وهل تعتقدون حقاً أن تظاهركم الرخيص أمامه.. أو قولوا تمثيلكم المفضوح والسافر بل والهزلي أيضاً.. كان يمكن أن ينطلي عليه أو حتى يقنعه بصدق المظاهر.. لا أعتقد ذلك.. إنه أذكى رجل قابلته في حياتي.. رغم خسته..

زوجة الأخ : علينا أن نعترف جميعاً بسحر شخصيته الطاغية وجبروتها.. لقد كان ذلك الملعون ساحراً.. ساحراً في كل شيء.. في كل شيء..

الزوجة : كـان الموظفـون في مكتبـه يعاملونـه كإلـه وسـط عالمـه ومملكته.. كانوا جميعاً ينحنون له لدرجة الركوع..

الصديق : لن أنسى ما حييت ولن أغفر له أبداً.. أنه أجبر أختى.. زوجته الأولى على الانتحار

الزوجة : ماذا؟

الراهب : أيها المخلص..

الصديق : أجل.. أجل.. لقد دفعها إلى الانتحار.. وماتت المسكينة وهي تلعنه في صمت..

الشيخ : أستغفر الله العظيم.. إن بعض الظن إثم.. أذكـر جيـداً أنه ظل طوال الليل يستمع إلى المقرئ وهو يرتل القـرآن على روح الفقيدة..

الراهب : لقد كانت دموعه تسيل على خديه في صـمت وحـزن.. فلا أعتقد لحظة واحدة أنه فعل ما ذكـرت يـا سـيدى.. لقد كان حزيناً حتى الموت..

الشيخ : وأنا أيضاً لا أشك فيه لحظة واحدة..

الصديق : تعرفون جميعاً أن السيد.. الـسيد المـوقر كـان يجيـد بـل يعشق لعبة الروليت الروسية.. وكان يسميها لعبة الحياة والموت.. وقد أغرى زوجتـه عـلى اللعـب حيـث كـان يلعبها بـلا طلقـات حيـة.. وبـدلاً مـن أن يلعـب مـع

زوجته برصاصة فارغة.. ملأ خزنة مسدسه بخمس طلقات حية.. وجعل المسدس يدور دوراته السريعة أمام زوجته وعلى نفس تلك الطاولة ذات المخمل الأخضر.. وانتظر أن تلعب دورها.. فقد لعب أولاً بذكاء شديد.. إنه كان يعرف مكان الطلقة الفارغة.. وساد الصمت القاتل.. فمازلت أذكر تلك اللحظات جيداً.. وأمسكت المسكينة بالمسدس ونظرت إليه طويلاً.. إذ أنها قد فهمت قصده تماماً.. وضغطت على الزناد فلقيت مصرعها على الفور ومن الطلقة الأولى.. لأنه لم يكن هناك وسيلة للفرار أو للنجاة.. وقيدت الحادثة تحت اسم .. حالة انتحار..

الراهب : بإسم الصليب.. أيها المسيح.. إن ما ذكرت لفظيع .. فظيع..

الشيخ : ولماذا لم تذكر تلك الحقيقة في محضر الشرطة؟

الصديق : لأني كنت جباناً.. لأني كنت أرتعد رعباً من ذلك الإله الملعون.. كنت أنظر إلى عينيه فقط.. فيباغتني الصمت..

الشيخ : إذن فقد كتمت الشهادة.. واكتسبت لعنة الله إلى الأبد..

الصديق : أيها الشيخ المبجل.. كل من تراهم هنا يحملون لعنات وأوزاراً وخطايا.. ولكنك تدينني وحدي..

زوجة الأخ : لقد كانت تعلم قصده جيداً.. وكانت تدرك جيداً بأنه لا يستطيع أن يتحمل مرضها إلى ما لانهاية .. إذ أن مرضها كان مرضاً عضالاً.. فدفعها إلى الانتحار دفعاً..

الشيخ : أذن فقد قتلها ولم يكن ذلك لعباً.. لعنة الله على القتلة الفاسقين.. أيمكن ذلك.. أيمكن أن يتخيل المرء.. أن يفعل السيد هذا..! لا أستطيع أن أصدق ما ذكرتموه عنه.. أنتم تمسخوه أمامنا..

الممرضة : ولكن.. ورغم مرضها.. لم يتركها لحظة واحدة تعاني الوحدة والألم.. لم يبخل عليها بشيء.. لا بالأطباء.. ولا بالمال.. فاسمحوا لي.. كيف يمكن حدوث هذا التناقض.. لقد كنت أشرف على تمريضها ليلاً ونهاراً.. حتى موتها..

الراهب : لقد كان السيد يطلب مني.. أن أشعل لها الشموع في جميع الكنائس التى كنت أتردد عليها..

الشيخ : كان يوزع ببذخ شديد الصدقات على روحها.. وهذا ما تم على يدي.. وأنا أعترف بذلك أمامكم جميعاً.. وليشهد عليّ الله نفسه..

الأخ : وأنا أيضاً أعترف أمام الجميع بأن لدى أخي.. السيد الموقر.. شخصية محيرة ومتناقضة إلى أبعد غاية.. شخصية مركبة لا يسهل فهم أعماقها أو دوافعها.. أو حتى يمكن لنا التوقع أو التكهن بأفعالها.. لدى أخي عالم غامض.. عميق الأغوار.. لقد وصفته ذات يوم ضاربة ودع.. بأنه رجل ملعون.. ملعون حتى النخاع.. كان في ذلك الوقت لم يتعد السابعة عشرة من عمره.. ومن ثم لا يدهشني أن يكون قد دفع زوجته الأولى إلى الانتحار..

الصديق : كل ما كان يفعله معها هو أنه كان يردد دائماً أمامها فكرة الخلاص.. وتحرير الذات من نذر الوفاء.. تحرير الآخر.. وأنه يمكن للإنسان أن يجد خلاصه وخلاص الآخرين ويحقق ذلك بيده.. لقد مهد لها طريق الموت انتحاراً..

زوجة الأخ : لقد وجدت المسكينة خلاصها في الانتحار هرباً منه وليس يأسا من المرض.. كانت حقاً سيدة عظيمة.. ولكن نقطة ضعفها كانت تكمن في حبها بل عشقها الشديد له.. لقد أرادت أن تفسح له الطريق لكي يتحرر منها بتقديم ذاتها قرباناً لذلك السيد على مائدة

الروليت.. وأن تهرب أيضاً من ذلك الحب البغيض الذي كان يلتهم روحها التهاماً..

الأخ : إنه لم يشعر ولو للحظة واحدة بأنه قاتل زوجته.. قال في بساطة.. هذا موعدها مع القدر.. الموعد المحدد لها على مائدة الروليت الروسية الصنع.. وكان ينهي كلامه دائماً بجملته الصارمة.. كل شيء مكتوب ومقدر على الإنسان.. حتى اللعنة فهي مقدرة أيضاً .. فلماذا هذا الاندهاش الذي أراه على الوجوه !.. لأن الله لو أراد غير ذلك لمنعه..

الصديق : كان يعشق اللعب بكلمات القدر ويفسرها طبقاً لهواه.. كان لا يؤمن بالله ولا يعتقد في الأديان حيث كان يراها أساطير ومعتقدات بدائية ساذجة للإنسان وهو يحبو في دور الطفولة..

الراهب : لا أعتقد ذلك.. إنه كان يعشق القرآن والتوراة والإنجيل.. وكان يرى أن الله في الثلاثة واحد..

الشيخ : بل كان يعي جيداً معني كل سورة من سور القرآن.. ويجادلني فيها.. ولكن أعترف بأنه كان دائماً يصدمني ويحزنني عندما يقول لي ضاحكاً.. إن الدين شيء..

والحياة وقسوتها شيء آخر، والله وإرادته وحكمته في هذه الحياة شيء آخر ولا طاقة للبشر على احتمال كل ذلك..

الراهب: أجل.. أجل.. كان يؤمن بالله من كل قلبه رغم كل ما سمعناه منكم الآن.. وإن كانت له بعض الأفكار التي كانت تؤرقنا.. غير أن التفكير في كل شيء عن طريق العقل الحر لا يلغي الإيمان.. لقد شك يوماً في بعث المسيح ولم يؤمن حتى شاهد آثار الصلب في يدي وقدمي المسيح.. طوبى للذين آمنوا ولم يروا..

الشيخ: تعرفون أن الجدل والحوار العقلي أساس كل الأديان.. والإنسان المؤمن لابد أن يعي ذلك جيداً.. قد سأل إبراهيم الله نفسه أن يريه كيف يُحي الموتى.. ليس شكاً أو عدم إيمان.. بل لكي يطمئن قلبه..

الراهب: وعقله أيضاً.. وأعتقد أن هذا حق للإنسان حين يستخدم عقله.. هذا هو حال السيد الموقر أيضاً.. كان يحترم كل الأديان وأنا أشهد له بذلك.. غير أن التفكير في كل شيء يدور في هذا الكون.. كان يلتهم روحه.. كان الوجود نفسه يؤرقه.. الوجود والكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والحروب والأمراض الفتاكة..

كل ذلك.. بل قل معنى كل ذلك كـان يؤرقـه ويدفعـه للتفكير.. كان إنساناً مفكراً..

الممرضة : اسمحوا لي أن أقول كلمة حق في شـأن الـسيد المـوقر.. لقد كان يعاملني بكل احترام وتقدير.. ولم أر منه شـيئاً يسوؤني منه قط.. ومن ثم كنت دائماً على اسـتعداد تـام لفعــل أي شيء يطلبــه منــي حتــى وهــو في لحظاتــه الأخـيرة.. كنـت أشـعر مـن خـلال نظـرات عينيـه وابتسامته المعهودة.. كأنه يود أن يشكرني على ما قدمتـه له.. (تبكـي)... لقـد كنـت خادمتـه وممرضـته الوفيـة أيضاً..

الأخ : أجل.. أجل لقد عامل خادمته على أنها سـيدة.. وأجـبر زوجته عـلى أداء دور الخادمـة للـسيدة الخادمـة.. لعبـة قاسية ومعادلة صعبة.. أليس كذلك!..

الزوجة : أصمت .. أصمت..

الأخ : لقد فرض على زوجته ذلك النظام القاسي تحت شعار.. تواضع النفس البشرية وقهرها لترويضها المنظم.. لقـد جعل السيدة الفاضلة .. زوجته الجديدة.. تغسل أرجل الخادمـة ويـردد في سـعادة بالغـة .. خـادم القـوم هـو سيدهم.. كان يفعل ذلك ويقول في بساطة.. إن الـسيد المسيح كان يغسل أقدام تلاميذه.. إنه درس في تواضـع الأخلاق.. أليس كذلك أيتها الزوجة الفاضلة!..

الزوجة : ألا تجد شيئاً آخر تعيده علينا سوى تلك المواقف التي ماتت مع موت صاحبها..

الصديق : لا شيء يموت داخل الإنسان الذي يعصره الألم.. لأن الماضي لا يموت أبداً.. والذكريات لا يستطيع الإنسان أن ينسلخ عنها أو يمحوها بسهولة لأنها جزء أساسي من عالمه الداخلي ولا يستطيع منها فراراً.. بل الحق أقول لكم.. ليس هناك موت للماضي لأنه ببساطة شديدة حاضر.. حاضر ومستمر في شعور ووجدان كل من خالط وعاشر السيد الموقر وانصهر في بوتقة نزواته..

الزوجة : ليس كل البشر مثلك.. لقد مات الماضي في داخلي منذ موت زوجي.. والحياة وقسوتها تفرض عليّ النسيان والتطلع إلى الغد.. إلى المستقبل.. والمال كفيل بذلك..

زوجة الأخ : أنا لا أدري ماذا يحمل لنا ذلك المحامى من مفاجآت وأسرار ليلية مقبورة داخل أعماق ذلك السيد الموقر والتى يخيل إليّ أنها سوف تنبعث من صوت القبر..

الأخ : أعتقد أن في جعبته الكثير لكي يساومنا عليه.. قبل وبعد قراءة الوصية.. إنه يشبه سيده في فظاظة قلبه وبلادة الإحساس وبرودة عقله..

الزوجة : بلادة الإحساس .. أعترف بأن زوجي كان ذا شخصية غريبة.. وكان يردد دائماً كلماته التي كان يعجب بها ويتيه بها فخراً.. كلما اشتعل عقلي توهجا.. كلما مات الإحساس في داخلي.. ورأيت العالم بصورة أفضل .. هكذا كان زوجي دائماً وأبدا..

الصديق : لا شك عندي في أن ذلك المحامي.. يعرف كل أسراره.. أسراره المعلنة والغير المعلنة.. أسراره الدنسة المقبورة على أسرار مخيفة وفظيعة أيضاً..

الأخ : وأنا أيضاً على ثقة كاملة بأن ذلك المحامي المتبلد الشعور والثلجي الوجه يعرف كل شيء عن أمواله والمصادر الحقيقية لدخله .. رؤوس أمواله هنا وفي الخارج .. ثم لا تنسوا لحظة واحدة أن كل تلك التوكيلات كانت تحمل اسم ذلك المحامي.. وهو بلا شك يستطيع تزوير وتحوير ونزيف كل شيء متى أراد ذلك وحسب رغبته وأهوائه..

الزوجة : كان زوجي يثق فيه ثقة عمياء.. ولا يثق في أحد غيره.. حتى أنا زوجته لم يكن يثق فيّ.. كان يقول لي دائماً.. الزواج شيء.. والمتعة شيء.. وثقة الإنسان في الآخرين شيء آخر.. لا أدرى.. لماذا أشعر الآن بأن عمري قد

سرق مني من خلال معاشرتي لـه.. وأنني لا أستطيع استرداده مرة أخرى.. وعليّ الآن أن أقاوم وأصمد تجاه هذا الماضي .. ومع ذلك كنت أحبه.. أحبه حقاً وهذا ما يشعرني بالتناقض الغريب الذي يمزقني من الـداخل.. كنـت أحبـه حبـاً غريبـاً لا أدرى كنهـه.. كـان أشـبه بالساحر الذي يرسل النوم إلى عيـون مـن ينظـر إلـيهم لكي يستولى على أرواحهم..

الصديق : وأجـسادهم أيـضاً.. إذ أنـه يعـشق الـروح والجـسد.. ويقول..كل يكمل الآخر..

زوجة الأخ : أقسم بأني لا أطيق النظر إلى صورة هذا الرجل.. سـواء كان حياً أو ميتاً..

الشيخ : الأمر جد بسيط.. لا تنظرى إليـه يـا ابنتـي.. هـذا كـل شيء.. والله يغفر له..

زوجة الأخ : إن الإحساس بوجوده.. هو في حد ذاته.. كابوس فظيع بالنسبة لي (صمت).. ومع ذلك .. فحين أنظر إلى عينيه في تلك الصورة الملصوقة على الحائط.. أشعر بأنـه يـود لو يلتهم روحي أيضاً.. فلا أسـتطيع أن أحـول نظـري عنه لا أرادياً.. كما لو كان ذلك السيد يريـد أن يـسلبني إرادتي.. لكي لا أهرب منه فكاكاً..

الصديق : هو لا يعني بالأرواح فقط.. بل وبالأجساد أيضاً.. كان يؤله جسد المرأة..

الشيخ : أستغفر الله العظيم.. ما سمعت عنه شيئاً من ذلك..

الراهب : لم يردد على مسامعنا شيئاً من هذا القبيل..

الصديق : كان يقدس المرأة لأنها خلقت من ضلع الرجل.. ففي تقديسها تقديس لجنسه وبالتالي تقديس لذاته.. إن لديه أيها الراهب المبجل حسابات أخرى غير معلنة.. ثم كان يرى أن المرأة هي التى تقيم نسلاً لجنسه.. فضلاً عن المتعة غير المحدودة والتى كان يحظى بها مع المرأة.. كانت كل نساء الأرض يا سيدي الراهب الموقر ويا فضيلة الشيخ لا تروى عطشه ولا تحد من شهوته المتقدة.. فضلاً.. عن أن كل النساء.. بلا تمييز وبلا أي واعظ خلقي أو ديني.. مباحة له..

زوجة الأخ : ماذا تعني؟ أنا لا أسمح بأي تلميحات أو إشارات مبهمة من هذا النوع..

الأخ : إذا كنت تعرف شيئاً أو تلمح لشيء ما فتكلم.. أعتقد أن كل شيء اليوم مباح وبلا خجل.. إنها لحظات الانصهار خلال هذا الانتظار..

الزوجة : أشعر بالإرهاق الشديد.. وأن كثرة التلميحات المستترة تجهد أعصابي..

الصديق : أنا لم أقصد شيئاً محدداً.. أردت أن أقول.. إنه العشق.. العشق الذي كان يستمتع به ذلك السيد الموقر.. وكلنا أيضاً قد عشقنا ذلك الملعون رغم نزواته غير المحدودة..

الأخ : ليس العشق.. بل قل إنها العبودية.. العبودية التى ترسخت في شعورنا من جراء إحساسنا بأننا نعيش تحت رحمته.. رحمة السيد الموقر والذي يغدق علينا من فيض أمواله ونزواته أيضا..

زوجة الأخ : كلنا نعرف أنه كان يستمتع بالاستحواذ على أرواح البشر.. وكان يردد أن الحب مجرد وهم.. وهم هلامي بل سرابي..

الصديق : كانت تساؤلاته تدور حول فكرة كيفية الحب الذي ينشأ بين الآخرين..

الراهب : كان حقاً يتساءل دائماً معي ويتجادل.. حول فكرة الإنسان الذي يجب عليه أن يحب قريبه.. وأقرباءه وأصدقاءه..لم يفهم هذا المعنى.. أو عفواً.. لم يرد أن يصدق ذلك.. وكان يتعجب كثيراً جراء ذلك الحب..

الصديق : كـان يـستولي عـلى أرواح البـشر وأرواحنـا وأموالنـا ونـسائنا.. وكـل شيء كانـت تطولـه يـده ينتزعـه منـا انتزاعاً.. لقد انتزع مني أختي الوحيدة ثم سلبني ثروتي وزوجتي في يوم واحـد.. فخـسرت كـل شيء.. حتـى نفسي..

السائق : لا يُقبل من أحد مهما كان وضعه.. عفواً.. التحدث عن رجل ميت.. أليس كذلك يا فضيلة الشيخ..

الشيخ : أجل .. أجل ولقد سبق أن قلت ذلـك.. ولكـن لكـى أكون منصفاً.. إن تلك الكلمات ليست سوى نـوع مـن التنفيس.. أو قل لحظات إنسانية يعبر بهـا الإنـسان عـما يشعر به من ضيق تجاه بعض مواقـف الآخـرين.. لقـد خلق الإنسان ضعيفاً..

السائق : لقد كان سيدى رجلاً كاملاً.. رجلاً له احترامه الكامل والواجب سواء كان حياً أو راحلاً..

الأخ : أيها السائق العزيز.. نعرف جيداً أنـك الرجـل الوحيـد الذي أحبه هذا الأخ العزيز.. لأنه كـان يعتمـد عليـك دائماً..

السائق : كان رجلاً عظيماً عطوفاً..وتدهشني تلك الكلمات التى سـمعتها عنـه .. فحزنـت و٭ـترت غـضبي وتمـسكت بالصمت..

الصديق : لأنه كان يطعمك ويطعم أسرتك.. كان يمنحك النقود بسخاء.. باختصار.. كان ولى نعمتك.. أليس كذلك؟

السائق : لا أستطيع أن أنكر ذلك.. لقد كنت سائقه وحارسه الخاص ونديمه أيضاً.. وكنت في مقابل ذلك على استعداد تام لإفناء روحي في خدمته ومن أجله.. من أجله فقط..

زوجة الأخ : إنه يعشق العبيد وخاصة العبيد المستأنس..

السائق : لو لم تكون زوجة أخ سيدي الراحل لتغير سلوكي معك ولعرفتم جميعاً معنى غضبي.. ولكن ذكراه تمنعني من ذلك.. أنا لي كرامة أيضاً..

زوجة الأخ : ليس للعبد كرامة..

السائق : إذن ليس لدى الكثير هنا كرامة أيضاً.. وذكرى سيدى تمنعني من التفوه بكلمة واحدة.. ولهذا أجمح غضبي..

الأخ : إنك لم تر فيه سوى جانب واحد فقط.. وهو الجانب الذي أحببته فيه.. منفعتك الخاصة.. قوت يومك ومستقبل أسرتك .. ولكن لا تنكر أبداً أنك أيضاً مدان..

السائق : مدان! مدان في ماذا؟.. لم أفعل إلا ما كان يطلبه مني سيدي.. وكنت أنفذ أوامره بكل دقة.. وكانت سعادتي

تكتمل حين أرى ملامح السعادة على وجهه.. ومن خلال نظرات عينيه أفهم دلالات رضائه عن أفعالي.. وفي هذا كانت تكمن سعادتي..

الصديق : حسناً.. حسناً جداً.. يعجبني مدى إخلاصك ومدى سعادتك وتفانيك في خدمة السيد .. أليس كذلك؟

السائق : هو ذاك.. ولكن.. عفواً.. هذا لا يعني أحداً سوى سيدى وسواى..

الصديق : نحن نعلم جيداً أنك كنت ذات يوم ضمن قوات العمليات الخاصة.. أليس كذلك؟

السائق : نعم

الصديق : وكنت تجيد الرماية بالأسلحة المختلفة.. ولذلك عينت قناصاً.. فضلاً عن ممارستك للكراتيه والكيك بوكس ثم اللياقة البدنية الرائعة التي تتمتع بها..

السائق : ولهذا كنت حارسه الخاص..

الصديق : وهذا مربط الفرس كما يقولون.. إنك تدرك جيداً أيها البودي جارد ونديم السيد والرجل المقرب إليه جداً جداً.. أن ثلاثة من أشد خصوم السيد الموقر قد قتلوا في ظروف غامضة.. الأول أصيب بطلقة محكمة في رأسه أثناء احتساء القهوة في حديقة منزله.. والآخر

أصيب بطلقة نارية ومحكمة أيضاً في قلبه أثناء خروجه من سيارته.. أما الثالث فقد دهمته سيارة مسرعة أثناء ممارسته رياضة الجري.. فهل تفضلت وأجبت عن السؤال الذي يؤرقني دائماً.. هل هناك علاقة بين تلك الجرائم الليلية والتي قيدت ضد مجهول وبين رجل كان من أبرع الرماة.. وكان يعمل حارساً خاصاً لدى السيد الموقر.. فضلاً عن أن سيده لا يحب مطلقاً أن يكون لديه خصوم.. لأنه كان يرى نفسه دائماً وأبداً السيد المتفرد..

السائق : (مرتبكاً) .. أنا.. لا أدري عم تتكلم يا سيدي .. فليست لدي أي علاقة بتلك الحوادث.. ومن ثم لا أستطيع أن أجيب عن سؤالك هذا.. وبالتالي لست مداناً..

الأخ : أيها الرجل الطيب.. يكفي أن تكون مقرباً من السيد الموقر كي تكون مداناً سواء شئت أم أبيت.. كل من تراهم هنا مدانون.. نحن جميعاً مدانون غير أن وزر كل منا يختلف عن الآخر وبدرجات متفرقة وحسب رغبة وإرادة واحتياج أخي.. السيد الموقر.. ولذا فأنت واحد منا.. لست إلا واحد منا..فنحن جميعاً مدانون ولهذا نحن ننتظر جميعاً هنا كي نجني الثمرة المحرمة..

الزوجة : الثمرة المحرمة!.. ماذا تقصد؟

الأخ : الوصية وما وراء الوصية الملعونة.. الملايين التى جعلتنا عبيداً للسيد.. نحن ننتظر ثمن بيع أرواحنا وعقولنا إلى السيد الموقر.. ومن ينكر ذلك.. فهو يسخر من نفسه.. لقد أضحينا جميعاً مثل فاوست الذي انسلخ من روحه لأجل الشيطان متمرداً على الخالق من أجل متع دنيوية كي يرضي غروره.. ونحن جميعا ننتظر الوصية الملعونة.. كما انتظر فاوست دقات الساعة كي يدفع حساب خطيئته..

الصديق : (واضعاً يده على كتف السائق).. وأنت يا هرقلي الجسد.. لماذا أري الدموع في عينيك.. لا تحبسها بل أطلقها وأطلق العنان لذاتك في البكاء فإن ذلك ليس إلا نوع من التكفير السلبي عن الخطايا التى نرتكبها.. أو قل الإحساس بالذنب والذي يأتي دائماً متأخراً لكي يترك خلفه الكثير من الضحايا.. ابكي بحرقة من أجل ذاتك .. وابكي أيضاً بحرية كاملة إذ لديك الآن رقية سحرية أو تعويذة قانونية ووثيقة واضحة وصريحة في مضمونها ومعتمدة من جهة أمنية تفيد بأن تلك الحوادث قد قيدت ضد مجهول.. وبهذا يكون بكاؤك

وتكفيرك عن خطاياك في أمان وبلا عقاب أيضاً.. فلا يدينك أحد..

الراهب : غير أن عقاب الضمير أقوى وأقسى من عذاب السلطة .. لقد بكى بطرس بكاءً مريراً حين أنكر السيد المسيح ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين.. ومن ثم يكون البكاء ندماً وخلاصاً..

الشيخ : إن عقاب الله أشد.. إنه يمهل ولا يهمل.. إن الله هو المنتقم الجبار.. ولا يخفى عليه شيء .. ورغم كل ذلك.. أقول لكم أيضاً.. أن بعض الظن إثم.. ولا نستطيع أن نؤكد بشكل قاطع أن ذلك الرجل قد ارتكب ما ارتكبه..

الزوجة : لا أستطيع أن أتخيل أن يطول بنا الحوار حول هذا الرجل.. إنه مجرد سائق لعربة السيد.. وبالتأكيد سوف يترك له شيئاً من المال نظير القيام بخدمته..

الممرضة : وأنا أيضاً.. أعتقد أنني لم أقصر يوماً عن خدمة السيد الموقر.. سواء في ساعات الفجر.. أو في منتصف النهار.. كنت أتفانى في خدمته منذ لحظات مرضه وحتى لحظات احتضاره..

الأخ : لا شك في أنه لن ينسى لك ذلك ويحتمل ورود اسمك في الوصية التى كتبها والتى ننتظرها جميعاً.. وإلا ما استدعاك ذلك المحامي.. فلا تخشي شيئاً .. إن كل شيء هنا يشبه الآن رمية زهر.. رمية واحدة يمكن أن يكسب أو يخسر بها الإنسان كل شيء.. غير أن كل شيء هنا.. كما أعتقد غير خاضع للحظ إذ أن الحظ هنا يتجسد ويكمن في إرادة السيد الموقر ولذا لابد أن تدركوا جميعاً أن ما كتب قد كتب..

الراهب : وإذا لم يخط السيد وصيته.. أستمحيكم عذراً.. فهل يقلل ذلك من علاقته بكم.. أرجو أن تعوا جيداً أن السيد الموقر كان يمتلك أيضا حريته كاملة.. كما له الحق كله في التصرف وبحرية أيضاً في أمواله..

الزوجة : أيها الراهب الزاهد في الحياة.. والأثير عند الرب.. نحن لسنا مثلك لسنا شخصك المبجل.. إن حياتنا كلها هنا على الأرض ولسنا نرغب في مملكة السماء مثلك.. بل مملكتنا هنا.. على تلك الأرض والتى لا نعرف سواها.. أعرف جيداً أنك نجيه وكنتما تقضيان ساعات طويلة في مناقشات لاهوتية.. هكذا كنت تسميها معه أليس كذلك؟

الراهب : أجل.. كان السيد يعشق الكتب المقدسة.. وكان يقرأ التوراة والإنجيل والقرآن.. لقد كان يؤمن برب واحد.. وكان يطلب مني دائماً.. عفواً.. ليس الآن وقت التحدث عن تلك الموضوعات.. أعتذر..

الأخ : ولم أيها الراهب المتقشف.. الآن الوقت وقت قراءة الوصية.. لا شك في أن السيد كان يحبك وسينالك من الحب جانب.. وحب أخي يترجم الآن إلى أموال طائلة.. ملايين.. ملايين من الجنيهات والدولارات الخضراء..

الراهب : عفواً.. الأموال لا تعنيني في شيء.

الأخ : أجل .. أجل.. ستقول لي.. ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.. ولكني سأقول لك بل سأثبت لك.. أيها الراهب العزيز المقدس.. أنه بالخبز والشراب والمال وبالقوة والجاه والسلطة يحيا الإنسان في هذا العصر البغيض.. نحن بشر يا سيدي الراهب. وليس لنا مملكة في السماء..

الراهب : لكل إنسان إيمانه الخاص..

الشيخ : أجل .. صدقت أيها الراهب الصديق.. كنا نتحاور بمحبة وحمية وبموضوعية خالصة.. وكان السيد الموقر

يؤمن بحرية الفكر والدين والعقيدة.. كان يعشق القرآن ويقرأ مزامير داوود أيضاً. وفي ذات الوقت كان يفند حجج ماركس..

الراهب : كان يؤمن بالفكر أيضاً حتى ولو كان فكراً إلحادياً وينادي بالحرية.. إذ لكل إنسان الحق في أن يكون ويعتنق ما يريد.. كان يقدس الحرية الشخصية للبشر.. لكل البشر وبلا أي تمييز .. لقد عشق إخناتون لأنه فكر في إله واحد وكان يعتبره نبياً ومبشراً روحياً..

الشيخ : بل ومفكراً وفليسوفاً عظيماً أيضاً.. ذلك هو السيد الموقر الذي فيه تختلفون..

الراهب : كان إنسانا نادراً..

الزوجة : غريب ما تقولون.. فلم أسمعه طوال سنوات عمري معه.. يذكر الله.. بل لا أعتقد في أنه كان يؤمن بالله.. الشيء المؤكد والواضح لي . أنه آمن فقط بذاته.. وهذا ما أعرفه جيداً..

الأخ : أعتقد أيها الراهب.. أنك أردت أن تقول شيئاً عن أخي.. ولكنك أحجمت عن ذلك.. فلماذا لا تتكلم بحرية وبفكر متحرر كما كان السيد الموقر يفعل.. كما أعتقد أن كل شيء مباح اليوم أثناء فترة الانتظار هذه.. أليس كذلك؟ فقل ولا تخشى شيئاً..

الراهب : إن ما سأقوله قد يبدو غريباً ولكن علىّ ذكره.. أذكر جيداً.. أثناء لحظات احتضاره.. أنه طلب مني وبإلحاح شديد أن أعيد على مسامعه تفاصيل صلب السيد المسيح على الصليب لحظة بلحظة.. منذ حمله للصليب.. وسيره عبر طريق الآلآم.. إلى عملية تثبيت المسامير في يديه وقدميه.. ثم إقامته مصلوباً على الصليب القاسي.. ثم كلماته وصرخاته الأليمة.. وأثناء سردى له.. يخيل لي أنه كان يعاني الألم مثل المسيح.. كان يبدو لي أنه كان يتوحد معه.. كان يعانى الآلم وسكرات الموت.. وكان عرقه غزيرا جداً.. كان يتفوه بكلمات غير مفهومة وواضحة تارة.. وكلمات كانت مفزعة حقاً.. وخاصة كلماته الأخيرة.

الشيخ : ماذا قال؟

الراهب : صعب عليّ أن أعيد كلماته الأخيرة.. فليس هذا حقي..

الزوجة : ولكن من حقي أن أعرف كلمات زوجي الأخيرة.. فتكلم أيها الراهب الجليل..

الأخ : لقد تكلمت عن حرية الفكر والعقيدة كما كان أخي يؤمن بها.. ثم لا تنسي أن هذا الانتظار قد وحدنا جميعاً معاً.. فصرنا روحاً واحدة.. إذا جاز لي أن أقول ذلك..

الراهب : لقد ذكر إلهه .. الإله الذي تركه وحيداً..

الصديق : ما معنى ذلك؟

الراهب : أذكر أنه نطق بكلمات تكاد تشبه كلمات المسيح أثناء وجوده مصلوباً على الصليب القاسي .. هكذا خيل إليّ للوهلة الأولى.. لقد خيل إليّ أنني أسمع.. إلهي.. إلهي.. لم تركتني.. غير أنها لم تكن كذلك.. وإنما قال.. إلهي .. إلهي.. الآن أنسلخ عنك.. وليترك كل منا الآخر وإلى أبد الآبدين.. حيث يدخل كل منا في عالم الصمت والعدم .. أنا ذاهب إلى اللاشيء.. اللاشيء حتى أبعث من جديد..

الشيخ : أستغفر الله العظيم.. أستغفر الله العظيم.. فظيعة ومرعبة تلك الكلمات التى نطق بها.. وخاصة قبل الموت.. إن إيمانه ضعيف.. فليغفر له الله.. وليسامحه على تلك الكلمات .. إنها لا يمكن أن تصدر من إنسان مؤمن.. لقد كانت كلمات يأس وتمرد على الكون كله..

زوجة الأخ : سيلعنه الله وسيحرقه في جهنم.. لقد كان داعراً كافراً..

الشيخ : ورغم ذلك لا أملك الحق في تكفيره..

الراهب : وأنا أيضاً لا أملك الحق في إدانته..

الصديق : حسناً وما أروع هذا.. حلقة من حلقات البحث والنقاش على روح المرحوم.. على ضريح ذكرياته وكلماته.. بل قل ليلة تهجد للسيد الموقر .. السيد المقدس.. الإله الملعون .. أيها الراهب القدير ويا أيها الشيخ الورع.. تقولون أن السيد الموقر كان يعشق الأديان .. وإنه يؤمن بالرب الواحد .. فهل وجد السيد سنداً قوياً في القرآن أو الإنجيل أو التوراة.. أو حتى من خلال أناشيد إخناتون المقدسة.. يبيح له الاستيلاء على مصانعي! هل وجد سنداً يسمح بإغراء زوجتي وانتزاعها مني انتزاعاً.. لقد قتل أختي.. وألزمني الصمت.. خيرني بين السجن وبين التنازل عن الزوجة والمصانع.. وكنت للأسف في موقف لا يتيح لي الاختيار.. لقد انتزع مني حقي في الاختيار..

الزوجة : فتنازلت!

الصديق : أجل.. أجل.. تنازلت مرغماً.. لقد كنت مجبراً..

الشيخ : إذن لم يكن العيب فيه فقط.. بل وفيك أيضاً..

الراهب : لو كان لك إيمان كامل صادق.. وكنت تدرى جيداً أنك على حق.. ما تنازلت..

الصديق : لكل إنسان نقطة ضعفه وسقطته أيضاً.. عقب أخيل.. حواء وتفاحة الرب المحرمة.. قربان قابيل.. فيدرا وحبها المحرم المشتعل.. لست أنا الشخص الوحيد الذي به نقطة ضعف.. لست الوحيد الذي سقط..

الزوجة : أنا لا أدري لم كل هذا.. ولماذا حولتم دفة الموضوع الأساسي .. من موضوع الوصية إلى مهاترات لا تقدم أو تؤخر من الأمر شيئاً .. إن ملل الانتظار هو الذي يدفع الجميع هنا إلى الثرثرة.. ولكن الحق أقول لكم .. إن الثرثرة أفضل من قسوة الانتظار.. هذا الانتظار الذي طال أمده حتي أشعرني بأنه انتظار لا نهائي.. أحسست في لحظة ما أنني أنتظر الجحيم..

زوجة الأخ : أكاد أجزم.. بل أقسم بأن تلك الساعات التى كتب علينا فيها الانتظار.. هي ساعات مكتوبة أيضاً في الوصية.. لكي نتعذب ونحترق فكراً وجسداً وروحاً.. لكي يواجه كل منا الآخر.. فتبرز أفكارنا الشيطانية وأحقادنا الدفينة.. والتى ربما تقودنا إلى القتال فيما بيننا لكي يسحق كل منا الآخر..

الأخ : أنا أشارك زوجتي الرأىء..

زوجة الأخ : حقاً.. هذه هي المرة الأولى التى تشاركني فيها الرأي أيها الزوج العزيز .. الزوج المحترم جداً جداً..

الأخ : ماذا تقصدين بهذا الهذيان؟

زوجة الأخ : أنت تعرف قصدي جيداً.. أم تريدني أن نتصارح بكل شيء حتى نصبح عرايا أمام الجميع..

الأخ : أرجو أن تتمالكي أعصابك حتى ينتهي كل شيء.. فلا نريد فضائح جديدة.. يكفي اليوم شره.. فلم يبق سوى القليل وتعلن الوصية.. وحين ذلك يقرر كل واحد منا فعله المحتوم..

زوجة الأخ : وربما فعله الحر أيضا النابع من ذاته لكي يوقف تيار الألم وعذاب الضمير.. ولكي يتحرر كل واحد منا من الآخر.. فنحصل على الخلاص..

الأخ : (يضحك) .. يا زوجتي العزيزة.. جميل أن تنهمر من فمك منابع الفلسفة تحت وطأة الانتظار القاسي.. ولكني أقول لك .. لا خلاص بلا وصية.. إذ أن الخلاص الحقيقي يكمن في الوصية.. وما أدراك ما هي الوصية.. نار جهنم المتقدة.. أم جنة على الأرض تحت ظلال الملايين.. لأني أدرك جيداً وصية أخي.. ولعلكم تدركون جميعاً السيد الموقر.. فلماذا لا نتصارح وننزع الأقنعة لكي نواجه الحقيقة التي تنتظرنا جميعاً.. كل واحد منا ينتظر الوصية.. كل واحد فينا يتمنى موت

الآخر وسحقه لكي يتملك وحده.. اليوم تموت فيه المشاعر والأخلاق والفضائل.. حيث يلعب الخيال الخبيث دوره حين يصور للآخر منظراً رائعاً يكمن في جثث الآخرين .. أليس اليوم يوم الطوفان.. حيث لا يفكر المرء إلا في ذاته فقط..

الزوجة : كفي .. كفي.. لا أستطيع تحمل أكثر من ذلك .. إن حرارة جو الغرفة تقتلني...

الراهب : قليل من الرحمة.. والهدوء.. حتى نشعر بالسكينة.. إن الحوار بينكم أصبح لا يحتمل .. فلماذا يعذب كل منكم الآخر!..

الصديق : أرجو من الجميع أن يسود الصمت قليلاً بيننا حتى لا نرهق أنفسنا أكثر من ذلك .. فأنا أيضا أختنق وأشعر بالملل والقرف.. ولكنني أتماسك .. وأتجلد وأعيش تلك اللحظات القاسية متمسكاً بأمل الرجاء رغم سرابه الهلامي.. أعيش من أجل أمل واحد فقط.. هو أن يكون السيد قد عاد إليه ضميره ولو للحظة واحدة رغبة في التوبة والتكفير .. لكي يعيد إليّ أموالي ومصانعي..

الزوجة : وزوجتك ! عشيقة زوجي.. سامحني ألا تريدها؟ ألا تريد استردادها هي أيضاً؟ أم أن الأموال قد جعلتك تنسى زوجتك التي دفعتها دفعاً إلى أحضان زوجي.. أيها الصديق المحترم.. نحن نعلم جيداً أن السيد الموقر كان دائماً يتقبل الهدايا التى من هذا النوع إذ أنه الإله الذي لا يرفض أبدا قرابين وهدايا المستضعفين من البشر..

الصديق : قلت لكم كنت مجبراً .. كنت مضطراً..

الشيخ : لا أستطيع أن أصدق ما تسمعه أذناي. فإذا فرضنا أن السيد كان ذا نزوات شاذة غريبة.. فأنت أيضاً كيف سولت لك نفسك أن تكون ديوثاً يفرط في شرفه وعرض زوجته؟ إن تلك الزوجة كانت في حاجة إلى دفاع مستميت من أجل حمايتها لا أن تقذف بها إلى عشيق مهما كانت الظروف.. لعنة الله على كل المنحرفين والخارجين على سلطان الدين.. فإذا ابتعد الإنسان عن الله وشرائعه فإنه بذلك يخسر كل شيء.. دنياه وآخرته واكتسب لعنة الله الأبدية ..

الراهب : أيها الشيخ الفاضل.. لا ترهق نفسك بالانفعال هكذا.. بل استمع لكي تدرك أن هناك خطايا ترتكب كل يوم بل كل ساعة تحت السماء وفي حق الرب..

الشيخ : ولكن أيها الراهب العزيز.. الساكت عن الحق شيطان أخرس.. ولكنني سأتمالك نفسي حتى ننصرف سوياً وبأقصى سرعة من هذا المكان الذي يشبه الجحيم .. كأني أقف على أرض سدوم وعمورة.. وسيقذف الله هذا المكان بنار وكبريت..

الراهب : لقد استدعينا من قبل المحامي بناءً على رغبة صديقنا السيد.. فلبينا النداء احتراماً لصديقنا.. فمتى قرأت الوصية انصرفنا معا إلى شئوننا سريعاً..

الأخ : كلنا سوف ننصرف أيضاً متي قرأت الوصية .أجميعنا.. فقليلاً من الصبر والاحتمال لن تجد أحداً هنا بعد الوصية..

الزوجة : أنا لن أغادر هذا المكان .. أنسيتم أنه بيتي ومنزل زوجي.. لن أُغادر هذا القصر أبداً. ولا حتى بعد قراءة الوصية..

الأخ : تعرفين جيداً أيتها السيدة الفاضلة.. أنني قد ولدت في هذا القصر وتربيت فيه وأمضيت شبابي كله بين أروقته إلى أن سلبه أخي مني.. ورغم ذلك سوف أغادره سريعاً عقب تلك الوصية.. هناك ذكريات لا أحب أن أتذكرها هنا..

الصديق : لكل منا ذكرياته القاسية التي يحاول أن يهرب منها..

الأخ : كان أخي يشعر بسعادة طاغية كلما شاهد مشاجرة أو معركة.. وكلما كانت هناك دماء نازفة كلما انتشي وقال.. لا حياة حقيقية من غير جهد مبذول .. كان يعشق نيتشه ويردد أقواله.. ذات يوم منح فتوة ألف جنيه حين شاهده وهو يضرب أربعة رجال حتى الموت.. قال له.. عش يومك للغد وتذكر أنك رجل حرب وقوة.. أنت الإنسان السوبر.. ثم ردد.. قل كلمتك ثم تقطع اربا.. عش حياتك في حالة حرب دائمة.. هذه الحرب ماتزال تدور رحاها بيننا حتى بعد موته.. ذلك هو أخي .. السيد الموقر..

الزوجة : كانت ميوله سادية.. متناقضا في كل شيء.. ورغم ذلك كان لا ينام إلا إذا استمع إلى الموسيقي الكلاسيكية.. كان يعشق باخ وموتسرت وبتهوفن.. كان يحب الشعر والتصوير.. وفي نفس الوقت تفتنه المصارعة والملاكمة ومصارعة الثيران فضلاً عن مناظر المعارك الحربية.. لأن حصاد كل هذا.. الدم والموت..

الشيخ : أقسم لكم أمام الله.. أن دموعه كانت تسيل كلما استمع إلى كلمات القرآن..

الراهب : كان يبكي بحرقة .. كلما حدثته عن عملية صلب المسيح.. كان ينظر إلى يديه وقدميه.. ويقول لي.. أنه يشعر بالدماء وهي تنفجر من يديه وقدميه..

السائق : ذات يوم صدمنا ثعلباً في الطريق الصحراوي فقتل على الفور.. ولكن السيد أصر على دفنه في الصحراء ووقف على ضريحه صامتا ثم قال.. اليوم قتلنا روحا برئية.. فأرجو من الله أن يغفر لنا ذلك..

الصديق : لا شك في أننا أمام حالة غريبة معقدة.. حقا لقد كنا نعاني في صمت معاناة تفوق طاقة البشر.. كل واحد فينا كانت المعاناة تمزقه ولكننا صمتنا..

الأخ : وكلما عانينا وكلما زاد صمتنا .. كلما شعر السيد بالرضى وإعتبره شهادة تقديم الولاء..

الزوجة: أقسم بأني لا أدري حتى الآن لماذا قبلنا ذلك ؟ لماذا حولنا أنفسنا إلى عبيد.. لماذا استسلمنا له كل هذا الاستسلام؟ أهو الخوف من شخصه؟ أو السحر الذى يكمن فى شخصيته؟ أهو بريق الذهب الذي أعمانا جميعاً وسلبنا إنسانيتنا؟ أم رغبتنا اللاشعورية في تعذيب

أنفسنا واستعذاب ذلك الألم.. ولكن الأغرب بالنسبة لي.. هو أننا مازلنا نعاني حتى الآن وحتى بعد رحيله.. كما لو كانت تلك هي إرادته ومشيئته التي لا راد لها.. إنه يعذبنا حياً وميتاً.. يخيل إليّ أنه يحوم حولنا منتشيا من مهارته في تنفيذ قسوة هذا الانتظار ومن كلماتنا التي تلعنه كما لو كان يستمرء اللعنة ويقتات من اللعنات..

الاخ : إنه حقاً رجل ملعون.. أتدري أيها الراهب الصديق.. لقد كان يعتز بيوم مولده الملعون ويجد نفسه متفرداً في ذلك.. إنه يحمل رقم 6/ 6/ 1936 ويقول إنه رقم وسم الوحش الملعون الذي ذكر في الكتاب المقدس..

الراهب : (مذعوراً) .. أحقاً ذلك؟

الأخ : تستطيع أن تنظر إلى شهادة ميلاده .. أو وفاته واليوم هو 6/ 6/ 2006..

الشيخ : ما معنى ذلك أيها الأخ الراهب؟

الراهب : فلنرحل جميعاً من هنا وبأسرع مما نستطيع.. إنه حقاً رجل ملعون وهذا المكان موسوم باللعنة أيضا.. فإذا كان ذلك الرقم هو رقمه .. وإنه كان يدري جيداً أن

ذلك الرقم ملعونا كما جسده الكتاب المقدس.. فمن الطبيعي أن يكون رجلاً ملعوناً.. كما إنه من المنطقي أن يعاني معاناة قاسية مريرة.. معاناة تفوق طاقة البشر.. لقد كان دائماً يسألني عن معنى تلك اللعنة.. وعن معنى ذلك الرقم الملعون دون أن يفصح لي بأنه هو هو المقصود بذلك .. يخيل إليّ.. وعلى ضوء ما سمعت.. أنه كان يشعر بحتمية كونه ملعوناً.. وأنه أراد أن يتمرد على ذلك بأفعاله الغريبة.. حقاً.. لقد كان يعاني أشد المعاناة جراء ذلك الإحساس..

الشيخ : إذا كان حقا يعاني .. فذلك أكبر دليل على أنه كان يمتلك مشاعر إنسانية أيضاً .. وأن تلك المعاناة محاولة للتخلص من فكرة ملعونة لصقت به أو علقت بفكره.. فالإنسان تلتهمه الأفكار أيضاً.. وتصبح وساوس لا يستطيع منها فكاكاً..

الصديق : رائعة تلك المناقشات اللاهوتية بين الشيخ والراهب والتي تدار حول مائدة الروليت انتظارًا لقراءة وصية ملعونة لرجل ملعون أيضاً..

(يدخل المحامي .. يتأمل جميع الحضور بعينيه.. يسود الصمت.. يتقدم ويقف خلف منصة الخطابة الصغيرة.. لأول مرة يتحرك الحرس ويقف خلفه.. تخفت الإضاءة قليلاً.. وتسلط على المحامي والذي ينير الأباجورة.. يضع أوراقه..)

المحامي : سيداتي سادتي.. مساء الخير.. أعتذر عن هذا التأخير والذي يدخل في صلب ومضمون بنود الوصية.. ومن ثم لا يوجد أي تأخير.. وبذلك يصبح اعتذاري لاغيا.. وإنما ذكرت ذلك من باب المجاملة لا أكثر.. إذ أن وصية سيدي الموقر دقيقة في أحكامها مثلما كانت مواعيده صارمة أثناء حياته.. وهي أيضاً ينبغي لها أن تستمر كذلك حتى بعد موته ورحيله.. الساعة الآن الحادية عشرة ونصف والاجتماع الخاص بقراءة الوصية سوف يبدأ في تمام الساعة الثانية عشرة أي في منتصف الليل وحين تدق الساعة الدقاقة معلنة انتصاف الليل.. وحسب رغبة السيد الموقر .. سامحوني لا أستطيع أن أقول أو أنطق بكلمة السيد المرحوم.. إذ كان سيدي لا يطيق تلك الكلمة.. إذ يرى السيد أنه السيد الموقر فقط حياً وميتاً.. إذ أن الموت بالنسبة له ليس إلا مرحلة انتقال فحسب.. انتقال من عالم إلى عالم آخر .. ولا شك

عندي في أنكم جميعاً تعرفون سيدي جيداً وتعرفون ميوله وطبيعة تكوين شخصيته الفذة وكذلك نزواته وأفكاره غير المحدودة أيضاً .. لم نجتمع هنا كي نتحدث عن فلسفة السيد الموقر.. فأنتم تعلمون جيداً أنه اجتهد في تطبيق فلسفته النظرية إلى لغة عملية واضحة المعالم تحت أعين الجميع وتحت الشمس .. بل نجتمع هنا من أجل أن نقرأ معاً الوصية التي كتبها قبل رحيله إلى العالم المجهول.. حيث كان يحب تسمية الموت هكذا.. ومن ثم تم استدعاؤكم اليوم من أجل هذا الغرض.. إذ أنه يوصي لكم بأموال طائلة وهذا أمر لا شك فيه .. غير أن نسبة التقسيم تتغير وتتناقض من شخص إلى آخر.. اليوم تلعب الملايين دوراً هاماً في حياة كل فرد منكم.. ولكن لسيدي رغبتين لا ثالث لهما لكي تنفذ تلك الوصية طبقاً للشروط الخاصة بمضمون تلك الوصية والتى وضعها السيد الموقر بدقة رائعة.. والتى تتوافق وتتلاءم مع مضمون أفكاره الفلسفية والإنسانية أيضاً..

الأخ : هل يمكن لنا أن نعلم كل شيء الآن؟

الزوجة : كنت أعتقد أنه قد كتب لي كل شيء! .. لي أنا فقط..

زوجة الأخ : يـا إلهـي.. سـوف تبـدأ الآن مرحلـة الأنانيـة المفرطـة للاستحواذ على كل شيء.. أليس كذلك يا سيدتي؟..

الصديق : لقد وعدني بمبلغ كبير تعويضاً لي عما بدر منه في حقي..

زوجة الأخ : وأنا أيضا.. لقد قال لي بالحرف الواحد.. إنه سـيترك لي أموالاً أكثر من كل أحلامي..

الشيخ : المال في حد ذاته لا يعنيني.. ولكن هنـاك عـشرات بـل مئات من الأسر تعتمد على أموال السيد..

الراهب : وكذلك الملاجئ.. فضلاً عن دور المعوقين والمسنين..

المحامي : أيها السادة.. أنا لم أنتهى بعد.. وأنتم تعلمون جيداً.. أن السيد الموقر لم يكن يحب مطلقـاً أن يقاطعـه أحـد أثنـاء حديثه.. ولم يحـدث أن تجـرأ أحـد وحـاول المقاطعـة.. فأرجو الالتزام بتعليماتـه حرصـاً عـلى قدسـية ذكـراه.. حتى ننتهي من قراءة الوصية والتي تتكون من شرطـين أساسيين بل وجوهرين بالنسبة لتنفيذ الوصية.. الشرط الأول.. أن يعترف الجميع هنـا بخطايـاهم مـن خـلال لعبة تسمي لعبـة الاعـتراف العلنـي.. أن يعـترف كـل واحد منكم بمدى كرهـه للـسيد المـوقر.. إذ أن الـسيد يدرك تماماً مـدى نفـاق الإنـسان وخاصـة في التـشدق بكلمات الحب وارتـداء أقنعـة النفـاق لتقـديم فـروض

الـولاء والإخـلاص.. ولعلكـم توافقـونني جميعـاً في ذلك..إذن فلنتصارح معا وليلقي كل إنسان فيكم بما في داخله إلى الخارج لكـي تـصل بحريـة وشـجاعة إلى مـسامع الآخـرين.. فـإن حـسنات سـيدي معروفـة وواضحة.. أما أوزاره وخطاياه فهو يريـدها أن تكـون علانية.. فيجب على كل واحد أن يستمع إلى اعترافـات الآخر.. حتى تسقط الحواجز بينكم.. ولكي نـرى معـاً طبقاً للمستندات والمذكرات الخاصة التى أحملها معي.. مدي توافـق أراء الـسيد المـوقر مـع تلـك الاعترافـات المعلنة والعلنية.. وليصبح الجميع هنا عرايا أمام الحقيقة بلا خجل أو وجل.. وهذا البند مـن الوصـية لا يتقيـد بوقت محدد ولهذا قد أعلنته لكم الآن.. ويسمي سـيدي هذا الـشرط تحـت مـسمى.. الاحـتراق والتطهـر عـبر الاعتراف والخلاص..

الأخ : إنه جنون .. جنون مطبق!!

الزوجة : سادي.. سادي حتى بعد موته..

الصديق : إنه يعذبنا حتى بعد موته.. حقاً لقد كان رجلاً ملعوناً..

زوجة الأخ : منطق غير مفهوم .. فلو كان يرانا ويسمعنا لسهل فهـم منطقـه..أمـا وهـو في غياهـب القـبر.. فـذلك أمـر لا

أستطيع أن أفهمه.. رجل مجنون وملعون..

المحامي : ليست المسألة هنا أيها السادة مسألة جنون أو تجسيد السادية أو حتى مجرد تحليل موقف سيكولوجي.. بل هي وببساطة متناهية مسألة اعتراف.. اعتراف علني مدفوع الأجر.. لبيان مدى الكره والبغض والاشمئزاز الذى يجثم على صدوركم تجاه السيد الموقر والذي يعرفه هو جيداً.. فلا حياة حقيقية بدون جهد مبذول.. تلك كانت كلمات السيد.. والوصية واضحة في شروطها .. وأعتقد أننا قد قطعنا شوطاً لا بأس به في هذا الاعتراف.. وفي هذا الشرط الأول.. إذ أن القاعة مزودة بسماعات دقيقة للغاية لتسجيل صوت التنفس.. وقد تم تسجيل جميع التعليقات التى قبلت هنا.. وأثناء فترة الانتظار المخطط لها جيداً وبعناية خاصة..

الزوجة : وما هو الشرط الثاني من الوصية؟

المحامي : ولكن الوقت لم ينصرم بعد.. باقي أكثر من عشر دقائق على انتصاف الليل وهو موعدنا مع قراءة الشرط الثاني من الوصية لبيان الهدف المعلن.. والآن أستميحكم عذراً فلدي قليل من الأعمال فضلاً عن توقيع الشيكات بمقدار معين ودقيق وحسب رغبة وإرادة

ووصية السيد الموقر.. فأنتم تعلمون جيداً أنني أمتلك حق التفويض الكامل وتوكيل رسمي موثق من الشهر العقاري يتيح لي فعل وتنفيذ كل شيء.. وإن كان الشرط الثاني من الوصية يعتبر شرطاً مغرقاً في خصوصيته..

الزوجة : هل تسمح بالتكلم معك قليلاً..

المحامي : بكل تأكيد.. ها أنا أصغي إليك..

الزوجة : ولكن أفضل أن أتكلم معك.. في الداخل . فقد كنت زوجته.. ولدي مع زوجي العزيز أسرار كثيرة.. لا أحب أن يطلع عليها أحد..

المحامي : حسناً سيدتي .. فلندخل سوياً في الداخل.. عفواً أيها السادة..

(تنصرف الزوجة أولاً.. ثم يتبعها المحامي.. الدهشة تظهر على الجميع..صمت..)..

زوجة الأخ : أقسم لكم بأنها سوف تعقد صفقة ملعونة مع ذلك المحامي حتى يكتب لها أكبر مبلغ ممكن .. أعرف مدى أنانيتها المفرطة.. إنها أيضاً عاشقة لذاتها..

الأخ : لا أعتقد ذلك.. فقد كان أخي دقيقاً كالموت في تنفيذ شئون حياته.. وهي بلا شك لا تستطيع تغيير شيء في الوصية..

زوجة الأخ : سوف تقدم له جسدها.. لقاء هذه اللعبة التى ستلعبها معه.. وكل شيء يستطيع المحامي فعله وتغييره.. إن جسدها لا يقهر.. وكل شيء مباح الليلة..

الأخ : يبدو أن جسد المرأة أصبح سلاحاً لقهر الرجل.. ووسيلة للنفاذ إلى عالمه.. أليس كذلك أيتها الزوجة العزيزة..

زوجة الأخ : ماذا تعني بذلك؟

الأخ : لقد سبق وأن قدمت جسدك لأخي أثناء سنوات الحرب التى وضعتني في لظاها..

زوجة الأخ : ماذا تقول؟

الأخ : ما بال هذا الفزع قد ظهر عليك .. لاشيء يا عزيزتي يؤرقني الآن.. فقد كان أخي يعرف جيداً أننا قد هجرنا الفراش المقدس بعد عودتي من القتال وعقب إصابتي اللعينة ثم تقاعدي من الجيش.. فتسللت إلى فراشه ليلاً .. لكي يؤدي أخي الموقر دوري. فلم يسبق له أن رفض قط أي قربان أنثوي..

زوجة الأخ : هذا كذب.. كذب وافتراء..

الأخ : ربما يحمل أخي في داخله خطايا وأوزار الأرض كلها.. ولكنه لم يكذب في حياته قط.. فهو الذي أخبرني بكل شيء..

الصديق : (ضاحكاً) إن مائدة الروليت مائدة مكشوفة.. وكذلك ألعاب السيد الموقر تصبح ألعاباً مكشوفة متى أراد ذلك..

الزوجة : أنا لا أصدق ما تقول.. فقل ما تشاء فلن أصغي إليكم ..

الأخ : كان يجب أن يطلق عليك لقب العاهرة المشتركة.. أليست لعبة الاعتراف العلني جزء أساسي من بنود الوصية..

الشيخ : أستغفر الله العظيم.. لا أصدق ما أسمع.. أنه شيء محرم .. شيء دنس.. أسمعت ذلك أيها الراهب.. أيمكن أن يحدث ذلك على تلك الأرض.. اللهم ارحمنا برحمتك.. وارفع عنا مقتك وغضبك..

الراهب : نحن لا نقر بما نسمع.. لقد فقد المعمدان رأسه من جراء قصة مشابهة.. فلينقذنا السيد المسيح من هذا الدنس.. فليرحم الرب روحه ويطهره من الخطيئة

الشيخ : بل سيلعنه الله في الجحيم الأبدي جزاء أفعاله المحرمة الشنيعة والتى لا يمكن أن يتخيلها عقل أو يقرها دين.. أن يعاشر زوجة أخيه.. اللهم ارحمنا.. وأنت يا سيدتي.. كيف سولت لك نفسك فعل ذلك؟

زوجة الأخ: أيها الشيخ التقي الأثير لدى الله.. لم أفعل إلا ما فعلته امرأة العزيز تجاه يوسف.. ولكن الفرق بيننا يكمن في أن السيد الموقر لم ير برهان ربه..

الشيخ : لا تتفوهي أو تلعبي بكلمات الكتاب.. إنني أحذرك وأمنعك من ذلك.. اللهم رحمتك وصبرك..

زوجة الأخ : ولماذا لا ترحموني أنتم.. لقد كنت امرأة يجري في عروقها حب الحياة واللذة فأنا لست راهبة.. وزوجي ضحية من ضحايا الحروب.. فماذا كان عليّ أن أفعل حيال جسدي الذي يصرخ دائماً من الشهوة.. ولكن الشيء الذي لا تعرفه أيها الزوج العزيز.. والشيء الذي لم يخبرك به السيد الموقر.. هو أنه استجاب لي من أجلك أنت.. من أجلك أنت وليس من أجلي فقط..

الأخ : من أجلي أنا؟

زوجة الأخ : نعم من أجلك أنت.. لقد كان يعلم جيداً أنك تحبني.. و أنك لا تستطيع العيش .. بل الحياة بدوني يوماً واحداً.. فضلاً عن استحالة عودة رجولتك المسلوبة يوماً إليك.. فخاف أن أهرب وألجأ إلى أحضان رجل آخر.. رجل غريب فأثير بذلك فضيحة كبرى في محيط الأسرة العريقة.. فآثر أن يقبر أسرارنا الدنسة تحت

جدران هذا القصر حتى لا أفكر لحظة في الرحيل.. لقد افتدى نفسه واكتسب خطية من أجلك.. خطية ملعونة سجلها على نفسه من أجلك أنت فقط..

الأخ : (يبكي).. كنت أفضل أن ترحلي.. أو أن تتخذي لنفسك عشيقاً على أن يضاجعك أخي..

الشيخ : أن هذا البيت بيت ملعون.. إنه بيت الشيطان.. ومع ذلك أكاد أجن.. أجن.. أقسم لكم.. أنه كان يستقبلني كثيراً لكي أناقشه في بعض سور القرآن .. ثم يجادلني بوعي شديد في صميم جوهر الدين.. لقد كان على دراية جيدة بهذا الدين الحنيف..

الراهب : نفس الشيء كان يحدث معي.. كان يعشق التوراة والإنجيل.. ويعشق تعاليم السيد المسيح.. وما أسمعه الآن يدهشني. . بل ويحيرني أيضاً..

زوجة الأخ : ومع ذلك.. كان يرتكب الخطايا..

(تدخل الزوجة .. وتنظر إلى الجميع.. ثم تتجه ناحية زوجة الأخ..)

الزوجة : حسناً.. إذن فقد أويت في بيتي عاهرة.. وأخاً قواداً.. تماماً مثل صديقه..

زوجة الأخ : اخرسي.. لا تتكلمي عن العهر.. فنحن نعرف جيداً من أين أتى بك إلى هنا..

الزوجة : هذا شيء معلوم للجميع ولا أنكره لحظة واحدة.. ولكني قد أخلصت له .. وظللت وفية له طوال فترة زواجي منه.. لقد تركت ماضي حياتي كله وراء ظهري.. ومعه قد بدأت حياة جديدة.. أقسم بالله أنني لم أفكر في خيانته على الإطلاق.. رغم جميع المغريات التى كانت تعترض حياتي.. كنت قد مللت.. مللت

الأخ : مللت أخي؟

الزوجة : كلا.. بل كرهت أن أدنس نفسي.. لقد أنقذ أسرتي من الضياع.. لقد استدان والدي وتم الحجز علينا.. فأنقذنا وكنت أنا كبش الفداء بالنسبة لأسرتي.. لقد تزوجته وأنا في سن العشرين وكان يبلغ السبعين من عمره.. ورغم كل خطاياه لم يبخل عليّ بشيء بل وفر لي كل متع الحياة.. فما الذي أبغيه بعد..

زوجة الأخ : كلنا نعرف أنك كنت تنتظرين موته يوماً بعد يوم لكي ترثي الثروة.. وكان كل يوم ينصرم وهو حي يشعرك بالحزن واليأس لأن الموت قد تخطاه في هذا اليوم.. أليس كذلك!.. ثم تنتظري الغد.. ثم الغد.. وهكذا أصبحت حياتك كلها لحظات انتظار تأكلها الأيام.. انتظار محرق متواصل..

الزوجة : وبفرض أن ذلك صحيح.. أليس من حقي أن أرث ثروة زوجي.. أما المشاعر الداخلية سواء كانت حباً أو كرها.. فهي ملك الإنسان وحده.. ملك عالمه الداخلي.. فمن يقرأ ما في الصدور غير الله.. إن أعماق الإنسان ملك خالص له .. أليس كذلك أيها الشيخ الوقور؟

الشيخ : أجل.. لا يعلم ما بالصدور غير الله.. لأنه عليم بذات الصدور.

الزوجة : وما رأيك في ذلك أيها الراهب الورع؟

الراهب : الرب وحده هو الذي يعلم بمقاصد الإنسان ونواياه الحقيقية..

الزوجة : أرأيتم.. هذا السند الديني والذي يؤيد فكرتي عن عالمي الداخلي.. فلا يدينني إنسان على ظهر هذه الأرض..

(يدخل المحامي.. يقف إلى المنصة .. ينظر إلى ساعته.. تعلن الساعة الكبيرة الدقاقة منتصف الليل..)

المحامي : سادتي.. الساعة الآن الثانية عشرة وهو موعد قراءة الشرط الثاني من الوصية.. أو لنقل ببساطة الثاني والأخير.. ولذا لن يستغرق الأمر سوى دقائق معدودة لكي تتفهموا الأمر على حقيقته وتدركوه جيداً لكي

يكون قراركم النهائي قراراً حراً وصادراً عن إرادتكم وقناعاتكم.. (صمت).. تعرفون جميعاً.. أن السيد الموقر ورغم نزواته الغريبة والتى تعلمونها جيداً.. إلا أن مبدأ الحرية كان هو سلاحه وفكرة في هذه الحياة .. والحرية كما يراها السيد الموقر هي امتياز.. امتياز رائع لا يملكه سوى الأقوياء أما الضعفاء من البشر.. فلن تمنحهم الحرية شيئا.. ولا أريد هنا أن ألقي على مسامعكم فلسفة سيدي.. كلا .. بل أردت أن أصل إلى نقطة هامة وجوهرية.. وهي أن الحرية قد تغلغلت في أعماقه حتى أن جميع قراراته وليدة إرادته الحرة.. وليست الوصية إلا تعبير مجسد لتلك الفكرة.. واسمحوا لي أولاً.. وكما أراد السيد الموقر.. أن أقرأ عليكم مبدأ.. توزيع الثروة.. أو الإرث المقدس..

أولاً .. بالنسبة إلى زوجته فإنه يوصي لها بهذا القصر الذي تعيش فيه ومبلغ عشرة ملايين جنيه..

ثانيا : بالنسبة إلى الأخ العزيز.. يوصي له بمبلغ ثمانية ملايين جنيه.. ولزوجة الأخ العزيز مبلغ وقدره أربع ملايين جنيه..

ثالثاً : بالنسبة للصديق.. صديق عمره.. فإنه.. كما هو مكتوب في الوصية حرفياً.. فإنه يشفق عليه لضعفه وسلبيته وقلة حيلته في هذه الحياة .. ولذا فإنه يوصي له بمبلغ خمسة ملايين جنيه.. تعويضاً له عن وجوده في هذا العالم بهذه الكيفية.. ومن ثم فإن السيد الموقر ينصب نفسه قدرا آخرا في عملية التعويض ..

رابعاً : بالنسبة إلى سائقه الخاص .. فإنه يوصي له بالسيارة الجاجوار الخاصة بالسيد الموقر ومبلغ مليون جنيه..

خامساً : بالنسبة إلى الممرضة والتى تفانت في خدمته .. يوصي لها بشقة فاخرة ومبلغ نصف مليون جنيه..

سادساً : بالنسبة للشيخ الفاضل فهو يوصي له بمبلغ خمسة ملايين جنيه للصرف على الأسر المحتاجة.. فضلا عن إقامة مسجد يضم ملحقاً خاصاً وهو عبارة عن مكتبة ضخمة ودار للندوة... ويسمح بالدخول للمسلمين والمسيحيين واليهود والملحدين أيضاً حيث يكون النقاش حراً وعلى ضوء التفكير العقلي والموضوعي..

سابعاً : بالنسبة إلى الراهب .. الراهب المقدس كما كـان يحب أن يسميه السيد الموقر.. فهو يوصي له بمبلـغ خمسة ملايين جنيه وذلك للاسـتمرار في الإشراف على الملاجـئ ودور المعـوقين.. فـضلاً عـن إنـشاء مدرسـة تـدرس فيهـا الأديـان.. وتعلـم القـرآن والتوراة والإنجيل ويعلم فيها أيضاً اللغة المـصرية القديمة والقبطية وأيضا اللغة النوبية..

ويصبح هذا لاتفاق سارياً منذ أن يُقرر الجميع قـرارهم النهائى بشأن الشق الثـاني مـن الوصـية .. (صـمت.. ويتنـاول المحـامي كـوب المـاء ويـشرب جرعـة..).. تعلمون جميعاً .. أن سـيدي المـوقر كـان يعـشق الحيـاة عشقا غير محدوداً.. ويـرى ضرورة الاتـصال بـين عـالم البشر سواء الأحياء أو الأموات منهم.. ومـن ثـم فقـد نصب السيد من نفسه طوطماً بشرياً رائعـاً لحلـول هـذا الالتصاق .. ومن ثم رفـض الـسيد أن يـدفن في قـبره الرخامي. فقد أوصى بوضع جثته في ثلاجة.. وقد مضي عليه الآن ستة أيام.. وفي اليوم السابع أي في هذا اليـوم سوف تحضر الجثة إلى هنا لأن إرادته تنص على ما يـلي.. تصبح الوصية الخاصة بالأموال نافذة السريان والتنفيذ منذ اللحظة التي يقرر فيهـا الجميـع الاشـتراك في أكـل

الجثة أكلاً كاملاً حتى يشعر الجميع بعمق الروابط الإنسانية الطوطمية والتى تبيح مثل تلك الأشياء.. على أن تحرق عظامه المتبقية في احتفال مهيب لكي توضع في قبره الرخامي.. وعقب ذلك يتسلم كل فرد منكم الشيكات الخاصة به فور الانتهاء من تحقيق رغبته الطوطمية المقدسة.. إنه يقدم نفسه لكم قرباناً مقدساً على مذبح مائدة الروليت.. على أن يتم ذلك خلال خمس دقائق من قراءة الوصية.. والقرار لكم..

(صمت .. ينظر كل منهم إلى الآخر.. تسمع دقات الساعة..)

الشيخ : هذا كفر بين.. لقد حرمت علينا أكل الميتة والدم..

الراهب : لا أصدق ما أسمع..

الأخ : أبشع وصية ممكن لإنسان أن يتخيلها .. إنه يريد إعجازنا..

الصديق : لقد سبق وقلت.. إن الموت لا يستطيع تغييره..

الزوجة : لعبة أخرى.. لعبة شريرة بل ومغرقة في الشر..

زوجة الأخ : ألم أقل لكم إنها احتفالية بغيضة.. أن يقدم نفسه لنا كقربان ملعون على ما ئدة العشاء.. على مائدة الروليت الملعونة أيضاً .. والأقسى من كل هذا .. هو أنه يعلم

جيداً مدى كرهنا له. فيريدنا أن نلتهم جسده ودمه.. ميتاً..

المحامي : شيء طبيعي أن تصدر منكم تلك التعليقات في مستهل رد الفعل الأول.. ولكن العبرة بالنهاية.. لأن الوقت لا يمهلني.. فبعد خمس دقائق تصبح الوصية لاغية إذا لم توضع موضع التنفيذ.. وبالتالي يخسر الجميع كل تلك الأموال..

السائق : لا أستطيع أن أتخيل أن أأكل جثة.. جثة سيدي..

الممرضة : اسمحوا لي وكسبا للوقت .. أثناء الحرب.. شاهدت من يأكل جثث الموتى قبل أن تلتهمها الكلاب.. وذلك بغرض.. البقاء أحياء..

الصديق : ألا يمكن أن نجد حلاً آخر أيها المحامي..

الزوجة : نستطيع أن نتنازل لك عن مبلغ كبير من المال.. ونشترك فيه جميعاً.. لكي تلغي هذا البند الفظيع..

الأخ : نحن نوافق بلا جدال..

الشيخ : حل رائع..

المحامي: أنا لست يهوذا.. ولا أستطيع أن أخون سيدي الموقر.. لأن ذلك الاتفاق قد وعدت بتنفيذه.. والآن أطلب من الجميع الجلوس المائدة.. مائدة الروليت..

(يجلس الجميع إلى المائدة. صمت تام .. ينظرون إلى بعضهم البعض..)

المحامي : الآن .. أنا في انتظار القرار النهائي..

الممرضة : صدقوني.. لقد أكل الجنود جثث الموتى.. أثناء الحرب.. وهم لا يتذكرون شيئاً عن هذا الأمر الآن.. محنة وتمر.. والزمن كفيل بابتلاع كل المواقف القاسية وإحالتها إلى عدم..

الصديق : نحن جميعاً في مركب واحد .. وأعتقد أن هذا الموقف لن يعرف عنه أحد.. فنتخيل أننا في معركة.. ولا بد من البقاء أحياء..

الأخ : الأمر صعب جداً بالنسبة لي.. ولكن إذا كانت تلك هي وصية أخي العزيز.. فكيف لي أن أرفضها.. بل لابد من تحقيقها.. فهذا واجب الأخ تجاه أخيه.. وليسامحني الله..

الممرضة : الحياة معركة قاسية.. والحب الحقيقي يكمن في التضحية..

السائق : سيدي السيد الموقر.. لقد خدمتك حياً.. وسأخدمك أيضاً وأنت ميت.. ففي كليهما أنت دائماً وأبدا سيدي..

الشيخ : الله غفور رحيم. فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه..

زوجة الأخ : أيتها الأخت العزيز الغالية.. أيتها الزوجة الوفية.. إن واجب الزوجة يتجلى في حرصها على تحقيق مطالب ورغبات زوجها.. حياً وميتاً..

(صمت .. تسمع أنفاس سريعة.. متلاحقة..)

الزوجة : احضروا الجثة

(صمت .. المحامي يومئ إلى الحراس.. ينصرفون.. ثم يعودون بصندوق الجثة.. حيث يوضع على مائدة الروليت.. صمت.. يفتح الغطاء..)

الراهب : (يرسم علامة الصليب) .. ربي.. اغفر لنا.. فنحن لا ندري ماذا نفعل.. .

اظلام

====

د. عصام عبدالعزيز

مدينة نصر 25/ 5/ 2006

